اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : فن الخطابة في نثر العصور المتأخرة .

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : الثاني عشر .

الفنون النثرية:

وصل إلينا من العصر الوسيط نثر مستفيض ، مثل الخطب والرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية والمقامات والمناظرات والحكايات والاجازات والتقاريظ والكتابات العلمية والأدبية ... وأغلب هذه الفنون كانت معروفة قبل هذا العصر ، وقد تضاعف غير قليل منها ، وسنسلط الضوء في الصفحات الآتية على أبرز هذه الفنون.

الخطابة:

الخطبة شبيهة بالمقالة الرصينة في موضوع معين تلقي على جمهور من السامعين، ومن سماتها ودعائمها التي تقوم عليها : **الارتجال ، وحسن التصوير ، وسلامة المنطق ، وعمومية المناسبة و الموضوع ، وقوة التعبير عن المعاني ، مع ترتيبها ، مزودة بأدلتها ؛ لتكون مؤثرة ومقنعة.**

وقد فقدت الخطابة - في الغالب - عنصرا هاماً من أفضل عناصرها ، وهو الارتجال ، وكان الكثيرون من الخطباء يستظهرون حطب السابقين و يرددونه على السامعين ، ولا سيما خطب عبدالرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة (ت٣٧٤هـ). وكانت تمتاز بالقصر ويغلب عليها السجع، وتتناول في معظمها الموضوعات الدينية.

ولا يعني هذا أن الساحة خلت من الخطباء المجيدين، الذين يمتلكون القدرة على الاقناع والتأثير في النفوس ، بلغة رصينة ، بعيدة عن الخطأ واللحن ، ولكن هؤلاء كانوا قلة قليلة لم تستطع أن تغطي الممالك الاسلامية و تسمع صوتها إلى الناس جميعا .

وكانت الخطب تلقى في **مناسبات كثيرة** ، منها الاستنفار لصد غارة ، أو رد عدوان ، أو نجدة إخوان ، ومنها كانت تلقى على المنابر أيام الجمع والأعياد والمنا مديات الدينية الأخرى ، وهي «تعتمد على إثارة العاطفة لتحبب إليها الخير ، وتنفرها من الشر وتوجهها إلى تقوى الله وحبه وخشيته، وقلوب السامعين متفتحة للتأثر بالخطب الدينية ولأنها تضليهم بالخالق سبحانه و تعالى وتعلو بهم عن الأرض إلى السماء ، و تبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فالخطيب تكلم من قبل الله ، و الموضوع ديني روحي، وثمرة الخطبة سعادة الفرد والمجتمع ، وتمجيد الله وطاعته وابتغاء الخير».

وكانت الخطبة تلقى على **ضربين : الاول تلقى مشافهة**، بعد أن يقف الخطيب على منبر أو منصة أو فوق مرتفع من الأرض ، مصحوبة كلامه بالحركات والسكنات والإشارات والايماءات التي جرى على اصطناعها بقصد التأثير على مشاعر الجماهير(الخطب الحربية ، والخطب الدينية).

أما الآخر فهو أن تكتب الخطبة كتابة، وذلك كالخطب التي دأب علماء الدين على ذكرها بين يدي المؤلفات و المصنفات الأصولية والفقهية و التفسيرية وغير ذلك مما كانوا يصنعونه في مختلف العلوم الشرعية وكالتي كانت تكتب في شأن زواج أمير أو ابن سلطان من إحدى بنات الخلفاء أو الأمراء أو السلاطين، مثل خطبة الصداق التي كتبها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر للملك السعيد بركة ابن السلطان الملاك الظاهر بيبرس البُندقداري على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي الذي أضحى من بعد سلطانة ، منها قوله:

((وبعد ، فلو كان اتصال كل شيء بحسب المتصل به في تفصيله ، لما استصلح البدر شيئا من المنازل لنزوله ، ولا الغيث شيئا من الرياض لهطوله . ولا الذكر الحكيم لسانا من الألسنة لترتيله ، ولا الجوهر الثمين شيئا من التيجان لحلوله ، لكن ليتشرف بيت يحل به القمر ، ونبت يزوره المطر ، ولسان يتعوذ بالآيات والسور ، و نثار يتجمل باللآلئ والدرر ، ولذلك تجملت برسول الله - ﷺ - أصهاره وأصحابه، وتشرفت أنسابهم بأنسابه ، وتزوج - ﷺ - منهم، وتمت لهم مزية الفخار حتى رضوا عن الله ورضي عنه)).

وكانت الخطب آنذاك بصورة عامة متشابهة تقريبا في : **التزام السجع، واستخدام فنون البديع ، كالجناس، والطباق، والمقابلة، والترصيع، " والتضمين، والاقتباس من القران الكريم والحديث النبوى الشرف وكلام الفقهاء والمفسرين** كما امتازت **باختيار الألفاظ والعبارات ، والوحدة الوثيقة التي تربط أجزاءها ومعانيها في موضوع واحد .** واليك خطبة لعبد السلام بن أحمد بن غانم الأنصاري (ت ٦٧٨هـ) ، وقد وازن بين فقراتها ، وجعلها منتهية بحرف النون المطلق ، وضمنها شهرة جعل الروي فيه حرف اللون المطلق أيضا :

(الحمد لله الذي ملأ الوجود جودة وإحسانا ، وأسبغ على كل موجود من سوابغ نعمه سرآ وإعلانا ، وجعل السجود لقربان حضرته قربانا . وأوفر القلوب بتحقيق شهوده اتفاقا ، نوّر بصائر او لبائه ، فشاهدوه بين اليقين عيانا ، كلما جليت عليهم صفاته هاموا اليها ولهانا، (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) زفت عليهم عروس محبته ، فجعلوا النفوس عليها سكرانا ، واستبدلوا من الملبوس أشجانا وأحزانا ، ونثروا الدموع على الخدود فسالت غدرانا ، فلما وثقوا العقود وحفظوا العهود أعطوا من الصدود أمانا ، فلو رأيتهم وقد جن عليهم الليل لحسبتهم في ثياب الخشوع رهبانا ، وفي مصابرة الولوع فرسانا ، صفوا على سرير الصفا إخوانا ، لا تجد فيهم خوانا، وأصبحوا في خلوة الوفاء نُدمانا ، لا تعرف فيهم نَدمانا . نصبوا للنصب أشباحهم ، ورفعوا للرعب نواحهم ، وخفضوا من الرهب جباههم ،

وفيهم نائح باك ، وصائح شاك (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)، قد تجلى لهم الجليل ، ونادى يا جبريل أقم فلانا، وأقم فلانا :

وقل : يا طالبي وصلي هلموا	فإنا لا نخيب من أتانا
حمانا للذي يهوى رحيب	إذا ما جاءنا يبغي لقانا
يراق له شراب من وصال	يمازجه رضاب من رضانا

وتجدر الإشارة إلى أن المقدمة الافتتاحية التي يمهد . بها مؤلف لكتابه ، يبين فيها غرضه من تأليفه و فائدته ، تسمى «خطبة » ، وقد ذكر ***القلقشندي*** أن الخطب جزء من أجزاء الكتابة ، ونوع من أنواعها ، يحتاج الكتاب إليها ، في صدور بعض المكاتبات ، وفي المبيعات ، والعهود ، والتقاليد ، و التفاوض ، وكبار التواقيع ، والمراسيم ، والمناشير .(أنواع مستحدثة من الخطب في هذا العصر وهي من الخطب المكتوبة).

القلقشندي في كتابه : (صبح الاعشى في صناعة الإنشا)...في أنواع النثر وسماته وخصائصه وفنونه في هذا العصر .